



المنظور القرآني للأمن (دراسة موضوعية تحليلية)

د. صباح بنت سعيد العرفي
أستاذ الكتاب والسنة المشارك، قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: helalasaad@gmail.com

الملخص

يقوم منهج القرآن الكريم في البناء النفسي على ترسيخ الشعور بالأمن الداخلي لدى الإنسان عبر تعزيز الإيمان بالله، والتوكل عليه، وبعث الطمأنينة في القلب عبر القيم الروحية والتوجيهات الأخلاقية التي توازن بين متطلبات النفس والحياة. كما يربط القرآن بين الأمن النفسي والاستقامة السلوكية، فيوجه الإنسان إلى الثقة بالله، والصبر، والرضا، بما يسهم في تحقيق السكينة والاستقرار النفسي للفرد والمجتمع. ويهدف البحث إلى بيان أنواع الأمن المعنوي والمادي، كالأمن الإيماني، والاجتماعي والاقتصادي والعسكري. وكذلك الكشف عن أسباب تحقق الأمن الذي يشمل الأسباب المادية والمعنوية، ويكون عبر عدة أمور كالعدل والإيمان والتربية والتعليم، والتقارب الفكري والثقافي والازدهار الاقتصادي ويهدف كذلك إلى التعرف على أبعاد الأمن الإيجابي والسلبي وتأثير كل منهما على عملية البناء النفسي. ومن النتائج التي خلص لها البحث أن الإيمان والدين هما المنقذان للبشرية من سلطة الهوى والشهوة، والجشع والأنانية، والتسلط والاستبداد، وأنه لا استقرار لمنهج أو نظام أو سياسة أو مجتمع لم يتخذ العلم أساساً لبناء حضارته، وتماسك أفراد مجتمعه.

الكلمات المفتاحية: المنظور القرآني، الأمن العسكري، الأمن النفسي.



Security in the Qur'anic Perspective (A Thematic Analytical Study)

Dr. Sabah bint Saeed Al-Arfi

Associate Professor of Qur'an and Sunnah, Department of Sharia and Islamic Studies,
Faculty of Arts and Humanities, King Abdulaziz University, Kingdom of Saudi Arabia
Email: helalasaad@gmail.com

ABSTRACT

The Qur'anic approach to psychological development is based on establishing a sense of inner security within the individual by strengthening faith in God, reliance upon Him, and cultivating tranquility in the heart through spiritual values and ethical guidance that balance the needs of the self with the demands of life. The Qur'an also links psychological security with moral integrity, directing individuals toward trust in God, patience, and contentment, which contributes to achieving peace and psychological stability for both individuals and society. This study aims to clarify the types of both moral and material security, including spiritual, social, economic, and military security. It also seeks to identify the causes of achieving security, encompassing both material and moral factors, such as justice, faith, education and upbringing, intellectual and cultural harmony, and economic prosperity. Furthermore, the research examines the dimensions of both positive and negative security and their respective impacts on the process of psychological development. The study concludes that faith and religion serve as safeguards for humanity against the dominance of desires and passions, greed, selfishness, domination, and tyranny. It also finds that no system, methodology, policy, or society can achieve stability unless knowledge is adopted as the foundation for building its civilization and strengthening the cohesion of its members.

Keywords: Qur'anic Perspective, Military Security, Psychological Security.



مدخل:

إن تتوَّع مجالات قضية الأمن وتعدّد أبعادها يدلّ على مكانتها البالغة في حياة الإنسان والمجتمع، إذ لا تستقيم حياة الناس ولا تستقرّ إلا في ظلّ شعور حقيقي بالأمن والطمأنينة. وتتجلّى أهمية الأمن في تعدد أنواعه وأسبابه، حيث يشمل الأمن النفسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري، مما يجعله أساساً لانتظام حياة الأفراد واستقرار المجتمعات. كما أن تحقيق الأمن يُعدّ من المقاصد الكبرى التي تسعى إليها الشرائع والأنظمة؛ لما له من أثر مباشر في حفظ الدين والنفس والعقل والمال. ولذلك اهتمت النصوص الشرعية بتعزيز مظاهر الأمن وترسيخ أسبابه، بوصفه ركيزة أساسية لنهضة المجتمع واستقراره. ومن أنواع الأمن:

الأمن المعنوي:

أولاً - الأمن الإيماني:

ويقصد بالأمن الإيماني ما يوفره الإيمان والتدين من أمان لصاحبه من عذاب الله له في الدين والآخرة، وقد قال الله ﷻ في شأن من غمر قلبه بالإيمان: (مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) [النحل: ١٠٧] والحياة الطيبة هنا تشمل القناعة والطمأنان القلب والسعادة في الدنيا والآخرة.¹

فالمؤمن يعيش حياة طيبة سواء كان موسراً أو معسراً، فالموسر يعيش حياة طيبة بإيمانه وحالته الميسورة، والمعسر يجد لذة القناعة والإيمان في قلبه فيسعد بذلك وإن كان فقيراً.² ومنها أيضاً قول الله ﷻ: (فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ) [الأنعام: ١٢٥] فإذا أراد الله الأمن والسكينة والهداية للشخص يسر له طريق الإسلام والإيمان والتقوى، فأتى بالطاعات والمأمورات متلذذاً بها غير مستنقل، أما من أراد ضلاله وزيغته فإنه يقع في ظلمات الشبهات والشهوات فيصبح قلبه ضيقاً قلقاً مليئاً بالمخاوف والمنغصات، وقد استخدم لفظ دقيق في وصف حالة هؤلاء القوم في ظلالهم وزيغهم وهو قوله تعالى: (يَصْعَدُ) وهذا البناء الصرفي يدل على الصعوبة واليسر في ممارسة فعل معين.³ وكذلك قوله تعالى: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) [الأعراف: ٩٦] والبركات هي النباتات والثمار، فيسبب الإيمان يوفر الله لهم هذه النعم، وبسبب الكفر والعصيان ينزعها عنهم ويسلبهم الأمن الذي كانوا فيه.⁴ ومن قبيل هذا أيضاً قوله تعالى: (أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضَيِّقًا وَهُمْ يَتَعَبُونَ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) [الأعراف: ٩٧-٩٩] وفي هذه الآية تحذير لمن لم يقنن برسالات الله ولم يمتثل بأوامره أن لا يأمن من عذاب الله، فقد يأتيه العذاب ليلاً أو نهاراً، فعليهم ألا يغتروا بالأمن الزائل والراحة المؤقتة التي هم فيها، فإن عذاب الله ينزل دفعة واحدة.⁵ فالإيمان مصدر مهم من مصادر الأمن، ولا يتنعم بالأمن والأمان الحقيقي من لا دين له، ولذلك فإننا نشاهد مشاهد مروعة في العالم كله بسبب تردي المستوى الإيماني لدى البشرية، فالإيمان والدين هما المنقذان للبشرية من سلطة الهوى والشهوة، ومن سلطة الجشع والأنانية، ومن سلطة التسلط والاستبداد، وفي كل يوم نقرأ حوادث كثيرة عن الانتحار والقتل والاعتصاب، وما يحصل ذلك إلا بسبب ابتعاد الشعوب عن الدين، ومن المعروف أن أرقام هذه الحوادث المذهلة ترتفع أحياناً في أرقى دول العالم ذات الحضارة المادية، وما ذلك إلا لكونهم أفقر روحانياً وإيمانياً.

1- انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١٧، ص ٢٩١؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٦٠١

2- انظر: الزمخشري الكشاف، ج ٢، ص ٦٣٣.

3- ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ١٣٣٤ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ١٢٧٢ رضوان جمال الأطرش، وجوه الإعجاز القرآني (كواليمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ص ٣، ٢٠١٢)، ص ٨١-٨٢

4- انظر: الزمخشري الكشاف، ج ٤، ص ٤٦١٧ القرظي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ١٠٩.

5- انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج ٥، ص ٥



ثانياً - الأمن النفسي:

ويقصد به الطمأنينة والسكون النفسي الذي يحصل للشخص عند تعرضه لخطر أو أزمة، سواء كانت اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية أو عسكرية وغيرها.⁶ ومن الآيات التي تدل على هذا النوع من الأمن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: (٢٨)] فيدون اطمئنان القلوب والنفوس لن تحصل الراحة والسكينة للإنسان، بل سيعيش في وساوس واضطرابات نفسية، فيذكر الله يزول القلق والاضطراب ويغمر النفس نور الإيمان الذي يقتلع جذور الهلع والاضطراب.⁷ وهذا الأمن ترجع إليه بقية الأنواع الأخرى من الأمن، فالأمن الاقتصادي والسياسي والعسكري كله يهدف في النهاية إلى إشباع هذا النوع من الأمن فلو امتلك الإنسان الكنوز والثروات وكان محاطاً بالجيوش والدبابات، فإنه ينعم بالسعادة الحقيقية إذا فقد الأمن النفسي، وهذا الأمن النفسي له مقومات عدة، ومرتكزات مختلفة كالإيمان العميق، والتوكل على الله، والإكثار من ذكره ودعائه، والإيمان بقضائه وقضائه.⁸ ومن يفقد هذا الأمن سيجد نفسه في مستويات مختلفة من التوتر والسيطرة والكبت اللا إرادي للدفاعات والانفعالات الذاتية⁹

ثالثاً - الأمن العلمي:

ويقصد به الإدراك والمعرفة التي ترتقي بالأفراد والمجتمعات وتصونهم من الظلم والجور الذي يقع عليهم بسبب جهل أمر معين وعدم إدراك حقيقته، فهو نوع مهم من أنواع الأمن الذي ركز عليه القرآن الكريم، فهو يمثل أماناً ضد الجهل، وقوة ضد الضعف، وتقدماً ضد التخلف ونضوجاً ضد التراجع ولأهمية هذا النوع من الأمن فقد جاءت أول آية في القرآن الكريم لتثبيته والحث عليه، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ١-٣] فأهمية القراءة كررها الله لرسوله ﷺ إشارة إلى أنه يجب عليه أن يكرر القراءة لتكون أسلوب حياة له ولأمته، فتصبح عادة وظاهرة لهم، وكذلك أثنى الله لك على القلم، وذكر أنه هو الذي علم الإنسان وذلك للدلالة على مركزية الكتابة والعلم، وأنهما من أكبر عوامل البناء الإنساني.¹⁰ ومن أدل الأدلة على مركزية العلم أيضاً في القرآن قول الله ﷻ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً﴾ [١١٤: ١] فالله ﷻ لم يأمر نبيه بالازدياد من شيء سوى العلم، فهذا يدل على نفاسة العلم وعلو مرتبته عند الله ﷻ.¹¹ مما يدل على أنه لا استقرار لمنهج أو نظام أو سياسة أو مجتمع لم يتخذ العلم أساساً لبناء حضارته، وتماسك أفراد مجتمعه. وعلى كل فإن الإنسان إذا امتلك العلم أمن على نفسه العديد من الأمور منها: الوظيفة والاحترام، والأمن، وغير ذلك.

رابعاً - الأمن الفكري

ويقصد به اطمئنان الناس على أفكارهم ومعتقداتهم ونظرياتهم بحيث لا تكون موضع تهديد قسري من أي جهة خارجية، والقرآن يضمن هذا للبشر جميعاً، ومن ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩٢]. وهذا يدل على أهمية التفكير في خلق الله ﷻ، وأن ذلك من صفات المؤمنين العقلاء، الذين إذا تفكروا في هذه الآيات أدركوا الحقائق وعلموا من هو الخالق الحق، وقد جاء في حديث ابن عمر، أن النبي ﷺ قال لبلال رضي الله عنه ليلة نزول هذه الآيات وقد رآه بلال يبكي، فقال له النبي ﷻ: "ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها"¹². ومما يدل أيضاً على اهتمام القرآن الكريم بالأمن الفكري، قوله تعالى:

⁶ - انظر: صالح إبراهيم الصنيع، دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس، (الرياض: عالم الكتب، د. ط، ١٩٩٥م)، ص ٧٠.

⁷ - انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ١٣، ص ١٠٠؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٥، ص ٢٥٩.

⁹ - انظر: وفاء على سليمان عقل، الأمن النفسي وعلاقته بمفهوم الذات لدى المعاقين بصريا (غزة: الجامعة الإسلامية عمادة الدراسات العليا، كلية التربية قسم علم النفس، د. ط ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، ص ٣١.

¹⁰ - انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٣٠، ص ١٩٩؛ السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص ٩٣٠.

¹¹ - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢، ص ٤٤٠٧؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٤١.

¹² - أبو حاتم محمد بن أحمد بن حبان التميمي صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان تحقيق شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ٢، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م)، ج ٢، ص ٣٨٦. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم ٤٦٨ الأرنؤوط في تحقيقه الصحيح ابن حبان، رقم ٦٢٠.



﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَمْتُكُمْ بُوْحِدَةً أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرْدِي ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [٤٦: ٤] أي تأملوا في دعوة محمد ورسالته مجتمعين ومنفردين، فإذا تخلصتم من المؤثرات الخارجية التي تشوب تفكيركم وتكدر صفاء عقولكم، وتم لكم التحرر من قيود التقليد والتبعية فعندها ستدركون أن محمدا ليس بمجنون، بل هو نبي رسول.¹³ فهذه الآية تأمر بالتفكير والتدبير، وأنها جزء من ضرورة الوقوف على الحق واتباعه.¹⁴ فالآية العظيمة تعظ القوم وتنصحهم إلى عدم المبادرة بالتكذيب استكباراً و عناداً، بل عليهم أن يقوموا بواجب التفكير مخلصين في ذلك، ولا يكونوا مقلدين ضد الحق، وعليهم التنوع في طريقة التفكير، منفردين ثم مجتمعين، فهذا أقرب في الوصول إلى الحق والاستقلالية والتجرد.¹⁵ فتلاحظ هذه الدعوة الإلهية إلى التفكير على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة فذلك أبعد للهوى والأنانية والدوافع الشخصية التي تشتت في القلب، وبعيداً عن التيارات السائدة في المجتمع، والمؤثرات الشائعة في الجماعة، وهي في الوقت ذاته منهج في البحث عن الحقيقة يعتمد على التجرد من الرواسب والمؤثرات ويقوم على مراقبة الله وتقواه.¹⁶ ويرى الإمام الشعراوي أن دعوة القرآن إلى التفكير "مثنى مثنى" دون الجماعة لأن ذلك أدعى إلى التجرد والشفافية، فوجود ثالث معهما يؤدي إلى المكابرة والمجادلة بالباطل.¹⁷ ومن الآيات الواضحة في هذا المجال، قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبْرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب: ٦٧] وهذه الآية في نفي التقليد وذمه، فلا يقبل من هؤلاء هذا التقليد الأعمى، بل كان الواجب عليهم أن يتفكروا ويتأملوا ويدركوا بعقولهم أن هذا الدين لا يمكن أن يقوم بدون خالق مشرع معبود قادر وعالم بكل شيء.¹⁸ فهذا كله يدل على اهتمام القرآن بالأمن الفكري، وأنه يجب إعطاء الناس حرية التفكير دون تقليد وإرهاب وتخويف وعليهم أن يكونوا مخلصين في ذلك طالين للحق لا للأهواء والأباطيل، فيجب استخدام كافة الوسائل المعينة الحماية مقومات الثقافة والمنظومة الفكرية من كل أنواع الانحرافات وأنواع الغلو والتطرف الطارئة.

الأمن المادي: ويشتمل على عدة أنواع:

أولاً - الأمن الاقتصادي

ونقصد به الخطابات القرآنية التي تدعو إلى المحافظة على المال وعدم غش الآخرين وخداعهم وأكل أموالهم بالباطل¹⁹، فإذا ملك الإنسان الوسائل الاقتصادية التي تؤهله ليحيا حياة كريمة فقد نال الأمن وزال عنه شبح الخوف من المستقبل كالخوف على الصحة والغذاء وتعليم الأبناء وغيره. ولهذا فإن دعاء سيدنا إبراهيم حين ترك زوجته وولده في مكة كان منحصراً في توفير الأمن الاقتصادي على الخصوص قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦] فالقرآن الكريم يبني الأمن الاقتصادي من خلال هذه الأخلاقيات والأسس العظيمة التي تربط المادة بالروح، والكسب بالأخلاق والعمل بالفضيلة، فلاحظ مثلا حضور الأمن الاقتصادي في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبُطْلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَىٰ الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨] لقد كان الاستيلاء على أموال الآخرين عادة جاهلية، فكانوا يكتسبون المال إما من خلال الغارات على القبائل الأخرى أو عبر ألعاب الميسر والقمار، والتسلط على أموال اليتامى والضعفاء، فكان الأمن المادي منعدم فيهم، وأكل مال الغير هو العادة المتواطئ عليها، فحرم الإسلام ذلك، ووفر للناس الأمن على أموالهم وممتلكاتهم.²⁰ كما احتوى القرآن على آليات كثيرة للحصول على الأمن الاقتصادي، منها الزكاة، والوقف والصدقات والهدايا ورعاية الأيتام والأرامل وغيرها، والحرص الإسلام على توفير الأمن

¹³ - انظر: البغوي: معالم التنزيل، ج ٣، ص ٦٨٥.

¹⁴ - انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص ٢١٤.

¹⁵ انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٣٠، ص ٦٠.

¹⁷ - انظر: الشعراوي تفسير الشعراوي، ج ١، ص ٣٥٩٨.

¹⁸ انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٧، ص ٣٠٩؛ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فتح القدير، (دمشق)

دار ابن كثير، بيروت: دار الكلم الطيب ط ١، ١٤١٤ هـ) ج ٤، ص ٣٥٢.

¹⁹ انظر: الشنقيطي، أضواء البيان، ج ٣، ص ٤٩.

²⁰ انظر: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: صفوان عدنان داوودي دمشق دار الشامية، ط ١، ١٤١٥ هـ، ص ١٥٣؛ ابن عاشور التحرير والتنوير، ج ٢، ص ١٨٧.



الاقتصادي للناس كافة فقد جعلهم شركاء في المصادر الثلاثة التي تمثل المصادر الحياتية الكبرى للبشر، وهي الماء، والنار والعشب، وهذا ما جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «المُسْتَلْمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْمَاءِ، وَالْكَلَأِ، وَالنَّارِ، وَتُنْتُهُ حَرَامٌ. قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: يَعْني الْمَاءَ الْجَارِي. ²¹ فالكلأ والعشب النابت في أرض موات منعزل ليست مملوكة لأحد يشترك الناس في الانتفاع بها، ولا يجوز لأحد أن يمنع الناس عنها، وكذلك ماء المطر والعيون والأنهار التي لا مالك لها، وأيضاً الأشجار التي توقد منها النار، والحطب الذي يتحطبه الناس كله لهم جميعاً، لكن ما كان مملوكاً من هذه الأشياء ملكاً خاصاً فلا يجوز الانتفاع به إلا بإذن مالكة ²²، فهذا كله دلالة عظيمة على اهتمام الإسلام بتوفير الأمن الاقتصادي للناس جميعاً، بل إن المدقق في الآيات القرآنية يجد أن الله ل قد قدر للناس الأمن الاقتصادي والغذائي منذ بدء الخليقة، فقد منحهم هذا الأمن مع خلقه للسموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ فِيهَا رِوَاسِي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلنَّاسِ لِيُنْفَكُوا فِيهَا فِي يَوْمٍ أُخْرَى. ²³ ١٠ أي قدر فيها قوت أهلها ومعاشهم وأرزاقهم، فقد جعل لك في كل بلدة ما يحتاجه أهل البلد الثاني، كي ينعموا بالتجارات وتبادل السلع والبضائع والاحتياجات الأخرى.

ثانياً - الأمن الاجتماعي:

يقصد بهذا الأمن استخدام كل ما يمكن من أدوات ونشاطات استخداماً إيجابياً من داخل الهيئات الحكومية والمدنية لتوفير الأمن للإنسان في ماله وعرضه ودينه ونفسه وكل ما يملكه. وهذا ما سعى القرآن إلى بنائه لتحقيق الأمن ليس فقط للمجتمع الإسلامي، بل للإنسانية جمعاء. فانظر مثلاً كيف رتب القرآن الكريم العقوبة الصارمة والرادعة للمفسدين في المجتمع والذين يسعون لإخافة الناس والصولة على أموالهم وقطع الطريق أمامهم بالأسلحة وأدوات الإرهاب، قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَخُوا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] أي أن من كان عمله إخافة العباد، وأخذ الأموال وقطع الطرق والتوثب على الحرمات في المجتمع فعقوبته القتل والصلب وقطع الأطراف من خلاف ونفيه من الدولة. ²⁴ ولم يكتف الإسلام بتسريع العقوبة الصارمة على من يزعم الأمن الاجتماعي، بل حث الناس على المواساة الاجتماعية والتراحم والتكافل فيما بينهم وذلك تعزيزاً لروابط الأخوة، وتقوية للأمن الاجتماعي، فقد جاء من حديث أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلٌ ظَهَرَ، فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا ظَهَرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ مِّنْ رَّادٍ، فَلْيُعِدْ بِهِ عَلَى مَنْ لَا رَادَ لَهُ قَالَ: «فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ مَا ذَكَرَ حَتَّى رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لِأَحَدٍ مِّنَّا فِي فَضْلٍ ²⁵ فهذا الحديث يدل دلالة صريحة على المواساة والرفق ومساعدة المحتاج بالتصدق والجود. ²⁶ وتوفير الأمن لهذه الطبقة من الناس وصدق الله العظيم حين قال: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

ويعد انعدام الأمن الاجتماعي من أهم أسباب انتشار الجريمة، وتفشي الأمراض والظواهر الاقتصادية السلبية في المجتمع، وقد يؤدي غياب الأمن الاجتماعي إلى غياب الإنتاج وهجرة العقول التي تؤدي بالتالي إلى الشلل في القطاعات الاقتصادية المختلفة ²⁷. وقد اهتم الإسلام بالأمن الاجتماعي قبل ولادة الإنسان، فأعطى المرأة حق الإفطار في رمضان عند الخوف على الجنين، وتحدث عن الرضاع، والحفاظ على الأولاد وعلاقة الزوجين

²¹ ابن ماجه، السنن، كتاب الجنائز، باب ما جاء في تغميض الميت، ج ٢، ص ٨٢٥. وصححه الألباني في تعليقه مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي، رقم ٣٠٠١.

²² انظر: أبو الحسن نور الدين السندي، ومحمد بن عبد الهادي التنوي، كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه (بيروت: دار الجيل د. ط، د. ت) ج ٢، ص ٩١.

²³ انظر: البيهقي معالم التنزيل، ج ٤، ص ١٢٦؛ المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٤، ص ١١.

²⁴ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ٣، ص ٢٢٠؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٥٧.

²⁵ مسلم المسند الصحيح كتاب الحدود، باب استحباب المواساة بفضول المال، ج ٣، ص ١٣٥٤، رقم ١٧٢٨.

²⁶ انظر: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩٢ هـ)، ج ١٢، ص ٣٣.

²⁷ انظر: صديق الطيب منير محمد المفاهيم في مجال الأمن الغذائي (جامعة الملك سعود، كلية علوم الأغذية والزراعة، قسم الإرشاد الزراعي والمجتمع الريفي، د. ط، د. ت)، ص ١١.



ببعضهما، واهتمامهما بالأسرة، وتعاملهما بالمعروف، ولا شك أن التشريعات كلها تصب في صالح الأمن الاجتماعي الذي لا وجود للإنتاج إلا بوجوده²⁸.

ثالثاً - الأمن الصحي:

ويقصد به اعتناء القرآن بوجوب المحافظة على مصادر الغذاء التي لا تضر بالإنسان، ولا تؤثر على صحته، ومن ذلك الآيات التي حرمت الخبائث من المَطعومات والمشروبات، كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُلُّوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَيْلًا طَيِّبًا﴾ [البقرة 168] والطيب هو الذي لا يضر الأبدان والعقول، فهو مستطاب في نفسه، فيخرج منه الخمر والخنزير والدم المسفوح وكل أكل خبيث؛ لأنه يؤثر على أمن المجتمع الصحي²⁹. يقول الشيخ رشيد رضا: "في هذه الآية إباحة جميع طيبات المطعم الطبيعية بحسب أفرادها، وإيجاب الأكل منها بحسب جنسها، وامتناع التحريم الديني العام لما لم يحرم الله تعالى منها³⁰. ولأهمية هذا الأمن تكفل الله له بإنزال الماء ليظهر الناس أنفسهم به فلا تنتشر الأمراض والأوبئة، قال تعالى: ﴿وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ﴾ [الأنفال: 11] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ [الفرقان: 48] والظهور هو البليغ في الطهارة، فهو ظاهر في نفسه ويظهر غيره³¹. وقد بلغ من اهتمام الإسلام بالصحة أن نص على بعض الآليات التشريعية الجزئية لاستكمال هذه المهمة العظيمة، ومن أمثلة ذلك ما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «السَّوَاكُ مَطَهْرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ»³². ووصل من اهتمام النبي بالسواك أنه كاد أن يجعله من الواجبات إلا أنه عدل عن ذلك خشية التضيق على الأمة، فقد روى أبو هريرة الله أن النبي ﷺ قال: «لَوْلَا أَنْ أَشَقُّ عَلَى أُمَّتِي أَوْ عَلَى النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بِالسَّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلَاةٍ»³³. فانظر إلى الاهتمام النبوي بهذه الأداة التي تحفظ للمجتمع المسلم طهارته ونظافته، وتمنع عنه الأمراض والأدواء. وقد رسم الإسلام منهجاً شاملاً للصحة، وجعل الاهتمام بها والمحافظة عليها من القضايا الجوهرية في حياة الإنسان، وجعله مرتبطاً ليس بالحسابات المادية الدنيوية فحسب، بل بالأمن على الصحة لأنها مما يحاسب عليه الإنسان يوم القيامة لو أهملها ولم يعطها ما تستحقه من العناية، ففي حديث ابن عمر، أن النبي قال له: «فَإِنَّ لِحَسْبِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِعَيْنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا»³⁴. فسماه حقاً، مما يدل على أن الإفراط فيه يوجب الإثم. ومن حق الجسم أن يترك فيه من القوة ما يستديم به العمل،

فإذا أجهد الإنسان نفسه فإنه سيقطعها عن العبادة ويصيبها بالفطور³⁵، ولهذا مثلاً رخص الشارع للمسافر في الفطر، ورفع عنه الحرج والمشقة في كل ما يؤدي إلى تأثيرات سلبية على صحة المكلف، وهذا معلوم من قواعد الشريعة كلياتها وجزئياتها³⁶.

رابعاً - الأمن العسكري

ويقصد به الإجراءات الأمنية التي تتخذ لتأمين أفراد الدولة وحفظ أسرارها ومصالحها ومنشأتها الحيوية على الصعيد الداخلي والخارجي، وهو يتطلب مستوى عال من الحذر والمهارة واليقظة والتدريب للوقاية من العدو.

²⁸ انظر: محمد بن محمد بن مفرح ابن مفلح المقدسي الحنبلي كتاب الفروع ومعه تصحيح الفروع للمرداوي (الرياض: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1424هـ / 2003م)، ج 4، ص: 144 لمحمد عبد الله الزركشي، المصري الحنبلي، شرح الزركشي على مختصر الخرقى (الرياض: درا العبيكان، ط 1، 1413هـ / 1939م)، ج 2، ص 602.

²⁹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 1، ص 1478 السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص 262.

³⁰ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 1، ص 96.

³¹ انظر: الزمخشري الكشاف: ج 4، ص 284.

³² البخاري، الجامع المسند، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، ج 3، ص 31.

³³ البخاري، الجامع المسند، كتاب الجمعة باب السواك يوم الجمعة، ج 2، ص 4، رقم 887.

³⁴ المصدر السابق كتاب الصوم، باب حق الجسم في الصوم، ج 3، ص 39، رقم 1975.

³⁵ انظر: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك ابن بطان، شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (الرياض: مكتبة الرشد، 2، 1423هـ / 2003م)، ج 4، ص 119.

³⁶ انظر: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، (بيروت: دار ابن حزم، ط 1، دبت)، ص 286.



³⁷والقرآن الكريم يهتم بأمن المجتمع والدولة الإسلامية، ويدعو للمحافظة على سلامتها ضد هجمات أعدائها والمتربصين بها، ولذلك دعا إلى بناء نظام دفاعي متين لتخفيف الأعداء وقطع طمعهم في ثروات المسلمين وممتلكاتهم ونفوسهم، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] وذلك لأن معرفة العدو بتملك خصمه أدوات القوة وتمكنه من الهجوم الشرس ضده والبطش به يخيفه ويثنيه عن مهاجمته، وهذه الحالة تمثل أمنا عسكريا للدعوة الإسلامية وللمجتمع المسلم، فتكون إدارة الحرب بأيديهم، ويتحكموا في توقيتها.³⁸

فحتمية الصراع تتطلب من المسلمين ضرورة التهيؤ والاستعداد، ولا يشترط رؤية الإمارات التي تدل على وجود عدو متربص، بل إن عليهم أن يتفهموا طبيعة الحياة وسننها في هذه القضية الهامة، والتي تقضي بعدم خلو المجموعات البشرية من الأعداء، فلا بد أن يبذلوا قصارى جهدهم في بناء القوة وتثبيت الأمن العسكري لأمتهم.³⁹ وعلى هذا فإن المواطن كذلك مسلماً كان أم غير مسلم عليه أن يساهم في توفير هذا النوع من الأمن فهذا من حقوق الدولة عليه، ولهذا يفترض في الدولة ومؤسستها العسكرية أن توفر للناس التدريب الكافي والوعي اللازم ليرتقي بالمواطن وتضعه ضمن مسؤولياته.

أسباب الأمن:

كما تتعدد أنواع الأمن، وكذلك تتنوع أسبابه وتتعدد عوامله، ومن الأسباب:

أسباب الأمن المعنوي

أولاً - الإيمان بالله :

إن الإيمان بالله ورسوله يعتبر من المغذيات الأساسية التي تشحن النفس والمجتمع بكميات هائلة من الأمن والسلم والسكينة، فالمجتمع مهما بلغ في التقدم التقني والعلمي، والتنظيم القانوني والازدهار العمراني والاقتصادي فلن ينعم بالأمن الحقيقي إلا إذا كان مؤمناً بالله، مستنيراً بهديه وصراته المستقيم. وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١] وهذا فيه دلالة على أن الإيمان بالله يمثل وقاية ومناعة من الإصابة بالأمراض النفسية، ويغمرها بالأمن والطمأنينة،⁴⁰ ويوفر لها أمناً عند فقدانه، واطمئناناً للنفس ووثوقاً بالله. فأكبر ما ينتج عن الإيمان هو توفير الأمن الداخلي النفسي للإنسان المؤمن.⁴¹ فهو يحس برحمة الله في كل حركة وحدث فهو صابر في الضراء وشاكر في السراء، بل قد يتسامى إلى منزلة أعلى فيشكر في كلا الحالتين، إذ يرى في الضراء أيضاً رحمة الله وفضله بالتكفير أو التنبيه أو ترجيح ميزان الحسنات أو بنوع من الأمان الذي قد لا يخطر على باله. فهل هناك من أمن نفسي داخلي أكبر من هذا! وهل هناك قانون وحضارة مادية تستطيع أن توفر مثل هذا الأمن فانظر ماذا يقول القرآن الكريم عن أحوال الذين يفتقدون إلى الإيمان والروحانية، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١] فتارك الإيمان بمنزلة الساقط من السماء، تنهوى به الريح وتخطفه المصائب والبليات من كل جانب، يتهاوى ويعيش في دوامة الخوف والهلع والاضطراب.⁴² وفي هذا المجال لا بد لنا من استذكار مجادلة إبراهيم الي لقومه وهو يقول لهم ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨١-٨٢] والمراد بالظلم هذا الشرك واتخاذ ند الله، فهذا مناف للتوحيد ومحبط للأعمال، وموجب للعقاب، وقبل ذلك كله مذهب للأمن والإيمان في الدنيا والآخرة، فالذين حققوا الإيمان هم الذين لهم الأمن في الدارين ولهم الهداية والبشرى عند الله تعالى.⁴³ إذا من خلال هذه الآيات تتضح لنا قيمة التوحيد الخالص وأنه سبب لا يمكن تجاهله في تثبيت دعائم الأمن في النفس البشرية.

³⁷ انظر: على نميري الأمن والمخابرات نظرة إسلامية الخرطوم الدار السودانية للكتب، ط ١، ١٩٩٦م)، ص ٣

³⁸ انظر: ابن عاشور التحرير والتنوير، ص ١٠، ج ٥٤ القاسمي محاسن التأويل، ج ٥، ص ٣١٥.

³⁹ انظر: أحمد عبد الرحيم السابح، أسباب الغزو الفكري ثمرات المطابع، د.ب، د.ت)، ص ١٤٥.

⁴⁰ انظر: نجاتي، القرآن الكريم وعلم النفس، ص ٢٧١.

⁴¹ انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٨، ص ١٢٧.

⁴² انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج ٧، ص ٢٤٢ المراغي، تفسير المراغي، ج ١٧، ص ١١٠؛ السعدي، تيسير الكريم

الرحمن، ص ٥٣٨

⁴³ انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٧، ص ١٧٨



ثانياً إقامة العدل:

وهذا هو الأساس المتين في استتباب الأمن واستقرار المجتمعات والدول، فلا أمن المجتمع لا يتخذ العدل منهجاً لحياته ونظاماً لسياسته. ولما كانت المجتمعات البهيمية تفتقد إلى عنصر العدل والعدالة، ويتحكم فيها قانون الغاب والقوة كانت حياتهم غير آمنة وغير مستقرة، بل بنيت على التخاصم والقتال والتناحر، وقد أمر الله له بالعدل في آية صريحة واضحة، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [النحل: 10] فبدأ لك بالعدل قبل المأمورات الأخرى لأهميته العظمى، فالعدل هو التسوية في الحقوق بين العباد وإبصال الحقوق إلى ذوبها وترك الظلم والجور.⁴⁴ وقال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: 7] والميزان هو العدل الذي خلقه الله بين خلقه في الأرض وأوجهه وشرعه لعباده.⁴⁵ ويطلق الميزان على العدل تشبيهاً للمعنويات بالمحسوسات.⁴⁶ وقد قرن الله جل بين الميزان وبين عدم الطغيان فيه، وهذه مناسبة مهمة، فالطغيان هو كل ما يضر بحق الآخرين، وإحقاق الظلم بهم، وتطفيف الموازين والمقدرات والمكاييل وغيرها. ونظير هذا قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: 25] فلاهمية العدل جمع الله في هذه الآية بين ثلاثة عناصر وهي: الكتاب والميزان والحديد، ووجه المناسبة أن الكتاب الذي هو القرآن جاء بالتشريعات التي تنظم طريقة العدل وتميزه عن الجور، والميزان رمز الأداة التي يجب على الناس أن يطبقوا العدل من خلاله، فكأنه يقصد أن العدل قد لا يتحقق إلا بتوفر وسائله وأدواته، وقد وفرها الله لهم، والعنصر الثالث الذي هو الحديد إشارة إلى أنه يجب حمل الناس على العدل بالقوة إذا جاروا وظلموا.⁴⁷ وقد قال أبو يوسف صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى: "إن العدل وإنصاف المظلوم وتجنب الظلم مع ما في ذلك من الأجر يزيد به الخراج وتكثر به عمارة البلاد، والبركة مع العدل تكون، وهي تفقد مع الجور، والخراج المأخوذ مع الجور تنقص البلاد به وتخرب".⁴⁸ وعلى كل فإن من أعظم أسباب تحقيق الأمن إزالة الظلم عن العباد وإرجاع الحقوق إلى أهلها فإذا تمت محاربة الظلم سحنت الفرصة لإقامة العدل وبه يستتب الأمن.

ثالثاً - التربية الحسنة والتعليم البناء:

تلعب التربية والتعليم دوراً كبيراً في استقرار الأمن داخل المجتمع، فالمجتمع المتعلم يتفاهم فيه الأفراد ويسود بينهم الحوار البناء في القضايا المختلف فيها، ويتحمل بعضهم بعضاً، والتربية الجيدة تساعدهم على الالتزام بالقوانين والتواضع وخفض الجناح وتحمل المسؤولية. وقد نبه القرآن إلى أهمية التربية الجيدة في آيات كثيرة، فمثلاً في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: 16] فالمرابي الفاضل عليه أن يأمرهم بطاعة الله وينهاهم عن معصيته ويربيهم التربية الحسنة المبنية على الأخلاق الطيبة والفضائل السامية.⁴⁹ وهذه الآية قوية وواضحة في الحث على التربية والنقوى فهي بدأت برب الأسرة أولاً، مما يشير إلى أن عملية التربية على التقوى والصالح لا تتم إلا إذا كان المرابي ممثلاً لما يأمر به ومنتهياً عما ينهى عنه.⁵⁰ وحينما ننظر إلى بعض المعالم التطبيقية التربوية في القرآن نجد علاقة واضحة بين بناء الفرد تعليمياً وتربوياً وبين استتباب الأمن، فانظر إلى وصية نبي الله لقمان لولده، ولاحظ كيف أن مثل هذه التربية تساهم في بناء المجتمع وأمنه وسلمه: قال تعالى متحدثاً عن لقمان في وصيته لابنه: ﴿بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: 17-18] فقد علم ابنه أصول الاعتقادات الإيمانية

⁴⁴ انظر: الرازي مفاتيح الغيب، ج ٢٠، ص ١٣٥٨ القاسمي، محاسن التأويل، ج 1، ص ٤٠٢.

⁴⁵ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ٢٢، ص ١١٣ البيهقي: معالم التنزيل، ج 4، ص ٣٣١

⁴⁶ انظر: ابن عاشور التحرير والتنوير، ص ٢٧، ج ١٥٣.

⁴⁷ انظر: المرادي، مفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ١٤٧٠ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٢٥٧.

⁴⁸ أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، وسعد حسن محمد، (القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث، د. ط، د. ت)، ص ١٢٥.

⁴⁹ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ٢٣، ص ١٤٩٢ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج 5، ص ٢٤٠.

⁵⁰ انظر: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسبوني طنطا: كلية الآداب، ط ١، ١٩٩٩/١٤٢٢م، ج ٥، ص ١٤٧٤ الرازي، مفاتيح الغيب، ج 4، ص ٤٥٠



والعملية، وحثه بأن لا يكتفي بنفسه في الإصلاح بل يجب أن يصلح غيره وذلك بأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر⁵¹. وقد كان النبي يحرص على الرحمة بالصغار وإشعارهم بقدرهم وقيمتهم، وإعطائهم الفرصة للمطالبة بحقوقهم، زرعاً للشجاعة والحرية في نفس الطفل، ومن شواهد ذلك حديث سهل بن سعد الله قال: «أَتَى النَّبِيَّ ﷺ بِقَدْحٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَالْأَشْيَاحُ عَنْ يَسَارِهِ، فَقَالَ: «يَا غُلَامُ أَتَأْتُنِي لِي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاحُ قَالَ: مَا كُنْتُ لِأَوْثَرِ بِفَضْلِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ»⁵².

ومن أهم مسالك التربية الحسنة تقوية عوامل المراقبة الداخلية لدى الأفراد والأبناء بحيث يبقى في وضعه الشرعي دون أن يخاف من رقابة القانون. فإذا نشأ جيل في مجتمع ما قائم على خوف الله ومراقبته فإن المجتمع سوف ينعم بالأمن في كل جوانبه. فالإنسان وإن كان مقطوراً من نشأته على التوحيد والأخلاق الحميدة إلا أن البيئة تؤثر في أخلاقه وتربيته، فكما يوجد في الإنسان استعداداً فطرياً لاتباع الحق والهدى، فهو قابل أيضاً للانحراف السلوكي والنفسي الذي يحيط بظروفه ومحيطه، كبعض المؤثرات الأسرية والاجتماعية وغيرها، ومن هنا تأتي أهمية التربية الحسنة للبناء النفسي الإنساني⁵³.

أسباب الأمن المادي:

أولاً - التعايش الفكري والثقافي:

خلق الله العقول مختلفة في مداركها، متفاوتة في مفاهيمها، متباينة في اتجاهاتها، وجعل لكل قوم قدرة على إنشاء ثقافته ونمط حياته، والاختلاف الفكري والثقافي إنما هو عامل من عوامل الاستقرار والحيوية وتنشيط المجتمع وتشبعه بالحراك الفكري الإيجابي والذي قد يؤدي بالتالي إلى اختيار الأفضل والأنسب من النوعيات الفكرية والثقافية التي تحتضنها، إلا أن الملاحظ في بعض المجتمعات أن التعددية الفكرية والثقافية أصبحت عامل بلبلية وفوضى وقادتهم إلى نوع من التناحر بين الاتجاهات والطبقات المختلفة، وقد وضح القرآن الكريم أن اختلاف الشعوب والقبائل والثقافات إنما هو للتعرف، قال تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا» [الحجرات: 13] أي جعلناكم مختلفين في القبائل والأعراق ليعرف بعضكم بعضاً، فيكون ذلك مدعاة إلى التواصل والتراحم والتوارث، لا دافعا إلى التفاخر والتناوش⁵⁴. ومن الملاحظ أن القرآن الكريم ذكر قبل هذه الآية بعض الأخلاقيات السيئة التي تمزق المجتمع وتدمر عنصر الإيجابية في التعددية الفكرية والثقافية والعرقية، كالهزم واللمز والتنازع بالألقاب والغيبة، فكان هذه الآية جاءت تقول بأن الله خلقكم مختلفين متفاوتين متباينين في الثقافات والأفكار لتتعارفوا ويحسن بعضكم إلى بعض وأن هذه الأخلاقيات المذكورة تتنافى مع ذلك المبدأ⁵⁵ ولا يقصد بالتعايش هنا تمييع العقائد وتصهير المبادئ والقيم، بل التعايش القائم على التفاهم والتبادل الثقافي المفيد، وقد يستأنس بحديث حلف الفضول للدلالة على هذا المعنى، حيث قال النبي قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: "شَهَدْتُ حَلْفَ بَنِي هَاشِمٍ، وَرَهْرَةَ وَتَيْمٍ فَمَا يَسْرُنِي أَيُّ نَقَضْتُهُ وَلِي حُمْرُ النَّعَمِ وَلَوْ دُعِيتُ بِهِ الْيَوْمَ لَأَجَبْتُ عَلَى أَنْ تَأْمُرَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَأْخُذَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ"⁵⁶.

إصلاح المسلك الاقتصادي:

يلعب الوضع الاقتصادي دوراً مهماً في أمن المجتمع واستقراره، فمتى تنعم الجميع بخيرات البلد، وتوفرت لهم الوظائف والفرص فإن المجتمع يكون أقرب إلى الاستقرار والأمن وعدم الانفلات والميل إلى الفوضى الأمنية،

⁵¹ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص ١٢١؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٦٨؛ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ص ٢١، ج ١٦٤.

⁵² البخاري، الجامع المسند، كتاب المساقاة، باب في الشرب ومن رأى صدقة الماء وهبته، ج ١، ص ٧؛ رقم ٢٣٥١

⁵³ نجاتي، الحديث النبوي وعلم النفس، ص ٢٥٠.

⁵⁴ انظر القاسمي محاسن التأويل، ج ٨، ص ١٥٣٩ السعدي، تيسير الكريم الرحمن ص ٨٠٢؛ الشنقيطي، أضواء البيان، ج ١، ص ٤٥.

⁵⁵ انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٦، ص ١٤٤.

⁵⁶ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خالد بن عبيد الله البزار، العتكي، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، ١٥، ١٩٨٨م - ٢٠٠٩م)، ج ٣، ص ٢٣٥. قال الهيثمي: رواه البزار، وفيه ضرار ابن صرد، وهو ضعيف، وله طريق آخر. أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (القاهرة: مكتبة القدسي د.ط، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م)، ج ٧، ص ٢٦٤.



ومن اللغات الجميلة في القرآن الكريم أن الله قرن بين الأمن في كثير من الآيات وبين الرفاهية والخيرات التي يستقر بها ذلك الأمن، فنلاحظ ذلك مثلاً في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورَى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيْرُوا فِيهَا لَيْالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ (سبا: ٢٠١٨، فهذه الآية تتحدث عن نعمة الأسفار وتيسيره وعمران الدولة وازدهارها، فتوفر المواصلات وتأمين الطرق من نعم الله على التي تساهم في تبادل المنافع وازدهار الاقتصاد ويجلب الأرزاق.⁵⁷ وقد قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَأَمَّنَهُم مِّن خَوْفٍ﴾ [قريش: 4] وقد قرن نبي الله إبراهيم الله في دعوته لأهل مكة بين الأمن ورغد العيش، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ [البقرة: ١٢٦] وفي آية أخرى يذكر الله قصة القرية التي منحها الأمن مع رغد العيش، فيقول الله: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢] فالأمن الاقتصادي يجلب وفرة الرزق وكثرة الثروات والرفاهية الاجتماعية لأفراد المجتمع وبالمقابل فإن انعدامه يؤدي الى الاضطراب الاجتماعي والحروب والمجاعات والخوف.⁵⁸ ومن هنا يتضح لنا أن من أعظم المسالك التي يبني عليها الأمن هو أمن الناس على أموالهم وتجارتهم، والوقوف بحزم في وجه كل من يغش أو يحتكر أو يسبب ضياعاً لثروات الأمة من خلال الطمع والجشع والربا وغير ذلك.

أبعاد الأمن الإيجابي:

تتضح العلاقة القوية بين البناء النفسي والأمن الإيجابي من خلال النظر في أبعاد هذا الأمن، وسيكون ذلك في:

الإخلاص والنزاهة:

ويقصد بالإخلاص تخصيص العمل لله وحده والبعد عن الرياء،⁵⁹ والنزاهة عبارة عن تحصيل ما تريد من غير اذلال أو إهانة للغير.⁶⁰ ويقصد بهذا البعد أن يكون الأمن المؤثر في بناء النفس مبنياً على الإخلاص والنزاهة، وقول الحق والتناصح بالحسنى ومجانبة المجاملات والمخادعات المموهة للحقيقة، وقد نبه القرآن الكريم على هذا في آيات كثيرة، وتدخل ضمنها جميع الآيات الدالة على إخلاص العمل لله، كقوله تعالى: ﴿فَادْعُوا مَخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥] بمعنى اعبده بقلب خالص شفاف بعيداً عن الشرك والنفاق، حتى تتم معالجة الأمراض النفسية بعمق وصراحة، ولا يكون مجرد تغطية للمرض بدون معالجة له.⁶¹ ويحث القرآن الكريم على الصدق مع النفس ومع الجميع، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أي مع المخلصين الصادقين الذين توافق علانيتهم سريرتهم. وليس هذا خاصاً بصدق اللسان فقط، بل يدخل فيه صدق الأفعال والمقاصد وغيرها، فهو عام لجميع الأحوال والتصرفات.⁶² ولأهمية النزاهة والإخلاص في البناء النفسي يطلق القرآن الكريم على غير المخلصين والذين لم تتشبع قلوبهم بالإيمان والنزاهة بأن في قلوبهم مرضاً، وهذا ينبئ عن مرض معنوي خطير في القلب يخل بالبناء النفسي للأفراد والمجتمعات، ومن أمثلة هذه الآيات قول الله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] فاعتبر القرآن الكريم الشك والنفاق والعداوة والحسد مرضاً يأكل قلب صاحبه.⁶³ وللدلالة على أن مثل هذه النفسية الخبيثة التي لم تبن على النزاهة تقوض أمن المجتمع تحدث القرآن عنهم في آية أخرى، فقال تعالى: ﴿وَلَيْن لَّمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الأحزاب: 60] والإرجاف هو التزلزل والاضطراب، فهم كانوا يرجفون بالأخبار ويشبعونها في أوساط المجتمع ليؤذوا بها النبي وأصحابه، ويتهمون سرايا المسلمين بالهزيمة، متقصدين الترويج لأمر لم يقع، بهدف إيقاع الشك في نفوس الناس ونشر الخوف بينهم، الأمر الذي تكون

⁵⁷ نظر: ابن عاشور التحرير والتنوير، ص ٢٢، ج ١٧٤

⁵⁸ انظر: حمد إسماعيل على إسماعيل، الآثار الاجتماعية لانعدام الأمن الاقتصادي، مركز التنوير المعرفي، بحث منشور على موقع التنوير المعرفي، ٩٤ <http://tanweer.sd/arabic/modules/smartsection/item.php?itemid>

⁵⁹ انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ١٣.

⁶⁰ المصدر السابق، ص ٢٤٠.

⁶¹ انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٧، ص ١٣٤ القاسمي، محاسن التأويل، ج ٩، ص ٥٢٢

⁶² انظر: ابن جزي التسهيل لعلوم التنزيل، ج ٢، ص ١٤٨

⁶³ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ٢٨٢؛ الراغب الأصفهاني، تفسير الراغب الأصفهاني، ج ١، ص ١٩٨
البيغوي، معالم التنزيل، ج ١، ص ٨٨؛ السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص ٢٣٥.



محصلته في النهاية زعزعة الأمن والاستقرار،⁶⁴ وهذا كله نتيجة المرض النفسي المبني على الخداع والكذب والزور.

وبسبب ما تتطوي عليه نفوسهم من أمراض خبيثة، وبسبب ما قد ينتج عن ذلك من تقويض أمن النفس البشرية والمجتمع الإسلامي في المدينة النبوية هدهم الله في هذه الآية بأنهم إن لم ينتهوا سيخرجون من المدينة ولن يجاوروا فيها النبي وأصحابه الأطهار. فهذه الآيات القرآنية فيها دلالة على أهمية الإخلاص والنزاهة في بناء النفس، وأن الأمن الذي لا يؤسس عليهما لا يأتي أكله وثمره في بناء النفس الإنساني بناء سليماً مثمراً. ويرى الإمام الرازي والقرطبي وابن عاشور خلافاً لابن جرير الطبري وغيره من الأعلام أن هذه الثلاثة كلها في الآية أسماء المسمى واحد، فالمنافقون هم المرجفون الكاذبون الذين في قلوبهم مرض.⁶⁵ ومن هنا يظهر أن حالة الصدق والنزاهة تبدأ بالتعامل النزيه مع النفس والناس، فالنية يجب أن تسبق الأعمال وتكون خالصة لوجه الله كما جاء في الحديث النبوي الشهير ((إنما الأعمال بالنيات))⁶⁶ فإذا خلصت النوايا خلص ما بعدها من أعمال، وهذا ما حذرنا القرآن من ضده في تلك الحالة النفاقية التي واكبت التطور الشامل في الدولة الإسلامية في المدينة إذ أظهرت تعاملاً ظاهرياً يبدو خالصاً، ولكن باطنه كان يعج بالفساد والشر، لذلك كانت هذه الفئة خطراً على أمن البلد التي تسكنه.

المطلب الثاني: البعد الزمني:

والمقصود به أن الأمن الذي يسهم في بناء النفس لا بد أن يكون أمناً دائماً مستمراً غير منقطع، بل يبقى تأثيره في النفس مستمراً. وللحصول على مثل هذا البناء فلا بد أن يربى الفرد على الإيمان واليقين التام بما يؤمن به ويتشبع قلبه بالمبادئ والقيم والأسس التي ينطلق منها، وإلا فإنه سينسلخ من هذه المبادئ والأسس بمجرد تغير الأحوال والزمن. ويتحدث القرآن الكريم عن أولئك الذين تشبعت قلوبهم بالمبادئ الثابتة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ إشارة إلى التزامهم بعهدهم وعدم التنازل عنه مهما طال الزمن واشتدت المحن.⁶⁷ وقوله تعالى: ﴿يَنْتَظِرُ﴾ فيه إشارة إلى أن العامل الزمني لا يغيرهم عن مبادئهم، فهم ثابتون مهما طال الزمن. وقوله: ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧] ونلاحظ أن قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ يَوْمًا﴾ إشارة إلى وجود هدف بعيد المدى، فلا يتنازلون عن مبادئهم على مر الأيام والسنين. وفي الآية إشارة إلى مراعاتهم لليوم الذي تصاب فيه القلوب بالهلع والفرع، فلما عرفوا ذلك سهل عليهم العمل الصالح، وتركوا ما يشغلهم عنه.⁶⁸ وقال تعالى في آية أخرى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُؤَاتٍ وَالضَّرَاءُ وَرَلِّزُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] فمع طول الزمن وشدة المحن لم يفكروا يوماً في النكول والتراجع عن مبادئهم، ولم يداخلهم شك وريب.⁶⁹ وقولهم: ﴿متى نصر الله﴾ له دلالة على أن المحن طالت عليهم، ومع ذلك لم يغيروا ولم يبدلوا. وقد ربي النبي الله الصحابة على هذه الأسس وبنى نفوسهم على هذه الثوابت، فكانوا عوامل بناء خير في منظومة الأمن الإيجابي، وقد اشتكوا إليه مرة، وجاءوا يستنصرون بالله، ويتوسلون إليه بأن يدعو لهم لما كثر عليهم من أذى وعذاب، فقال لهم: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمُنْشَرِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيَسْقُ بِأَنْتَنِينَ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَيُمَسِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَن دِينِهِ، وَاللَّهُ لِيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّكِابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الدِّنْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»⁷⁰. ومن جانب آخر تحدث القرآن عن أولئك الذين انسلخوا من الدين عند اختلاف الزمان وتغير الأحوال فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْبِدُ اللَّهَ

⁶⁴ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص ١٨٤؛ ابن عاشور التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٠٧.

⁶⁵ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص ١٨٤؛ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٢٤٥؛ ابن عاشور التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ١٠٧.

⁶⁶ البخاري الجامع المسند. باب بدء الوحي، ج ١، ص ٦، رقم .

⁶⁷ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب ج ٢٥ ص ١٦٣؛ المراغي، تفسير المراغي، ج ٢١ ص ١٤٧.

⁶⁸ انظر: القاسمي، محاسن التأويل، ج ٧، ص ٣٩١؛ السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص ٨٠٢.

⁶⁹ انظر: الرازي مفاتيح الغيب، ج ٦، ص ٣٧٩.

⁷⁰ البخاري، الجامع المسند، كتاب المناقب باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤، ص ٢٠١، رقم ٣٦١٢.



عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ [الحج: ١١] فهو يعبد الله عند الرخاء والصحة، ويرتد ويرجع على عقبه عند الضراء والبلاء، فالبعد الزمني غير متواجد، ولذلك لم تكتمل عملية البناء النفسي.⁷¹ وهكذا يتحدث القرآن عن عامل الزمن والوقت في تغيير بعض الأتباع، وحذر المؤمنين الصادقين من ذلك، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦] فقد بدلوا كتاب الله ونبذوه وراء ظهورهم، وأقبلوا على الآراء والأهواء، واتخذوا أحيارهم وربانهم أرباباً من دون الله، فكان هذا كله بسبب طول المدة والزمن عليهم، فالاستمساك بالدين لدى الكثير يكون في بدايات التدين ومع طول المدة تظهر الانحرافات.⁷² إن مسألة الثبات على المبدأ أمر ليس هيناً، ويدل على أهمية هذه القضية أن الله أمرنا يوماً في صلواتنا المفروضة بدعائه أن يثبت قلوبنا على صراطه المستقيم، ﴿إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] بمعنى وفقنا للثبات عليه.⁷³ ولهذا كان النبي يهتم بهذه القضية ويعطيها عناية كبيرة، ففي حديث أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ لَا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: يَا مُقَلِّبِ الْقُلُوبِ تَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»،⁷⁴ ويظهر مما سبق أن الأمن تظهر إيجابيته بشكل واضح من خلال عنصر الزمن، فالبقاء مدة طويلة على ممارسة القيم الإيجابية والثبات على المبادئ والقيم يزوده بالأمن والسكينة والطمأنينة هذا على أساس الفرد أما بالنسبة إلى المجتمع فلا بد أن تبقى أواصر المجتمع والأخوة الإسلامية مبنية على أسس قوية لا تتزعزع عبر الزمن، ولا يكون بناءً أنياً ظرفياً، بل يجب أن يصبح منهج حياة ومبدأ انطلاق ونقطة بداية ونهاية. فإذا تم الأمر كذلك فإن هذا البناء النفسي المرتكز على الأمن الإيجابي يسمو ويعلو، ويساهم في مصلحة بناء الفرد والمجتمع، فالمبادئ التي يقوم المجتمع عليها لا بد أن تبقى ثابتة.

تقديم مصلحة الجماعة على الفرد:

ونقصد به الأمن المرتكز على المصلحة العامة الجماعية وتقديمها على المصلحة الخاصة، فمن خلال هذا الأمن الإيجابي السوي المترن يستقر البناء النفسي، وتتلاشى الأنانية والفردية، وينأى الفرد بنفسه عن تعاطي ما يسيء إلى المجتمع وما يزعزع أمنه واستقراره، وقد أعلن القرآن الكريم حرصه على البناء النفسي الأمني في داخل المجتمع المسلم، فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] وهذا طلب إلهي موجه إلى المؤمنين، أن يتأخروا من غير أنانية، فيتناصروا على الحق ويتعاونوا على العدل، ويتألفوا ولا يتقاطعوا،⁷⁵ فهي تمثل قاعدة تشريعية عملية الصيانة المجتمع المؤمن من التفكك، تحت النزوات والاندفاعات. فهذا التعاون يزود النفس الإنسانية بطاقة أمن إيجابية طويلة الأمد فالأمن الإيجابي الذي استقر في قلوبهم يعلو على هذه الأخلاقيات الذاتية المناقضة للبناء النفسي السوي. ولاحظ تصوير القرآن الكريم كمثل حي على هذا البناء النفسي المؤسس على الأمن الإيجابي، ولو قرأنا قصة ابني آدم اللي قابيل وهابيل حيث قتل قابيل أخاه هابيل بسبب الطمع والجشع والأنانية لم ينعم بالأمن في بيت النبوة على عكس أخيه هابيل الذي كان ينعم بالأمن الإيجابي في بيت النبوة واستفاد من التربية الأمنية الإيجابية لأبيه آدم. فقال لأخيه: ﴿لَنْ يَسُطَّ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: 28] فيقول له: إن مثل هذا التصرف لا يتفق مع أخلاقياته وشمائله، ولا يتماشى مع تربيته وبنائه الإيماني، فهو ليس أنانياً وحسوداً مثله.⁷⁶ فانظر كيف تساهم مثل هذه النظرة الإنسانية المرتكزة على أبعاد الأمن الإيجابي في بناء النفس. وتجد في السيرة النبوية ما يجلي هذا الواقع المثالي، فقد هاجر الصحابة من مكة إلى المدينة وتركوا أموالهم وأهليهم، فاستقبلهم إخوانهم الأنصار وأثروهم على أنفسهم، وحكي لنا القرآن واقعهم بآيات نورانية عظيمة، فيقول الله: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ

⁷¹ انظر: البيهقي معالم التنزيل، ج ٣، ص ٣٢٦

⁷² انظر: المراغي، تفسير المراغي، ج ٢٧، ص ١٧٣؛ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، ج 4، ص ٥٤.

⁷³ انظر: الطبري، جامع البيان، ج ١، ص ١٦٦؛ المراغي، تفسير المراغي، ج 1، ص ٣٥.

⁷⁴ الترمذي، السنن أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن، ج 4، ص ٤٤٨، رقم ٢١٤٠. وقال: "حسن".

وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج ٢، ص ١٢٦.

⁷⁵ انظر: السعدي، تفسير الكريم الرحمن، ص ٢١٨.

⁷⁶ انظر: المراغي تفسير المراغي، ج 1، ص ٩٩.



المُفْلِحُونَ [الحشر:9] فيثأرهم كان في منتهى السمو والمثالية، فهم لا يؤثرون على أنفسهم عند استغنائهم عن مالهم، بل مع حاجتهم إليه.⁷⁷ فهذه صورة صادقة عن الأمن الإيجابي تبرز الملامح التي تفرّدوا بها، فهي صفات أمن نفسي بلغت الأفاق، ولولا أنها وقعت بالفعل، لحسبها الناس أحلاماً ومثلاً علياً صاغها خيال بعض الكتاب والمؤلفين.

وخلص البحث إلى عدة نتائج أبرزها:

- أوضح البحث المقصود القرآني لمفهومي الأمن والخوف بأقسامهما الإيجابية والسلبية، وتعددت الصيغ المختلفة واستخداماتها والمصطلحات المتعددة لهما في السياق القرآني فكانت النفس وأمنها وبنائها هي المدار والمرتكز حول الحديث عن الأمن والخوف
- توصل البحث إلى أن القرآن الكريم يذكر جوانب مختلفة لمصطلح الأمن، حيث بين أنواعه المختلفة، كالأمن الديني، والاجتماعي، والسياسي، والاقتصادي. وفصل أسبابه والتي تشمل العدل، الإيمان، التربية والتعليم، التقارب الفكري والثقافي، التسامح والازدهار الاقتصادي. هذا الثراء في التفصيل يدل على شمولية وتكامل البناء النفسي في الخطاب القرآني
- بين البحث أن الأمن الإيجابي له أبعاد متميزة تتمثل في النزاهة والإخلاص، والبعد الزمني، والبعد الجماعي. كما أوضحت كذلك أبعاد الأمن السلبي من خلال التركيز على البعد المصلحي الشخصي، وبعد النظرة الانية، وتسطيح الأمور عند التفكير في القضايا المصيرية، وهذا منهج هدفه ترقية النفس الإنسانية إلى مستوى عمارة الأرض وخلافتها.

المصادر والمراجع

1. ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. تونس: الدار التونسية للنشر
2. ابن بطّال، علي بن خلف. شرح صحيح البخاري. تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم. الرياض: مكتبة الرشد، ط2، 1423هـ/2003م
3. ابن جزي، محمد بن أحمد الكلبي. التسهيل لعلوم التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي
4. ابن حبان، محمد بن حبان النميمي. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1414هـ/1993م
5. ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار ابن كثير
6. ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. سنن ابن ماجه. بيروت: دار الفكر
7. ابن مفلح، محمد بن محمد المقدسي. كتاب الفروع ومعه صحيح الفروع للمرداوي. الرياض: مؤسسة الرسالة، ط1، 1424هـ/2003م
8. الأصفهاني، الراغب. تفسير الراغب الأصفهاني. تحقيق: محمد عبد العزيز بسيوني. طنطا: كلية الآداب، ط1، 1422هـ/1999م
9. الأطرش، رضوان جمال. وجوه الإعجاز القرآني. كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، 2012م.
10. البخاري، محمد بن إسماعيل. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه. بيروت: دار ابن كثير
11. البزار، أحمد بن عمرو. مسند البزار (البحر الزخار). المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم
12. البيهقي، الحسين بن مسعود. معالم التنزيل في تفسير القرآن. بيروت: دار طيبة
13. الترمذي، محمد بن عيسى. سنن الترمذي. بيروت: دار إحياء التراث العربي
14. الجرجاني، علي بن محمد. التعريفات. بيروت: دار الكتب العلمية
15. الرازي، فخر الدين محمد بن عمر. مفاتيح الغيب (التفسير الكبير). بيروت: دار إحياء التراث العربي
16. الزمخشري، محمود بن عمر. الكشاف عن حقائق التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي

⁷⁷ انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٥٠٨؛ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ٧٠



مجلة الفنون والآداب وعلوم الإنسانية والاجتماع

Journal of Arts, Literature, Humanities and Social Sciences
www.jalhss.com editor@jalhss.com

Volume (130) April 2026

العدد (130) إبريل 2026



17. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان. الرياض: دار السلام
18. الشعراوي، محمد متولي. تفسير الشعراوي
19. الشنقيطي، محمد الأمين. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. بيروت: دار الفكر
20. الشوكاني، محمد بن علي. فتح القدير. دمشق: دار ابن كثير؛ بيروت: دار الكلم الطيب، ط1، 1414 هـ
21. الصنيع، صالح إبراهيم. دراسات في التأصيل الإسلامي لعلم النفس. الرياض: عالم الكتب، 1995م
22. الطبري، محمد بن جرير. جامع البيان عن تأويل آي القرآن. بيروت: مؤسسة الرسالة
23. عقل، وفاء علي سليمان. الأمن النفسي وعلاقته بمفهوم الذات لدى المعاقين بصرياً. غزة: الجامعة الإسلامية، كلية التربية، 2009م.
24. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. القاهرة: دار الكتب المصرية
25. القاسمي، محمد جمال الدين. محاسن التأويل. بيروت: دار الكتب العلمية
26. المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. القاهرة: مصطفى البابي الحلبي
27. مسلم بن الحجاج. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ. بيروت: دار إحياء التراث العربي
28. نجاتي، محمد عثمان. القرآن الكريم وعلم النفس. القاهرة: دار الشروق.
29. نجاتي، محمد عثمان. الحديث النبوي وعلم النفس
30. النووي، يحيى بن شرف. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. بيروت: دار إحياء التراث العربي
31. الواحدي، علي بن أحمد. الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: صفوان عدنان داوودي. دمشق: الدار الشامية، ط1، 1415 هـ
32. يوسف الأنصاري، أبو يوسف. كتاب الخراج. تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد وسعد حسن محمد. القاهرة: المكتبة الأزهرية للتراث.